بسم الله الرحمن الرحيم

الأَرْضُ الْمُبَارَكَةُ 6 ذُو الْقَعْدَةِ 1447هـ

إِنَّ خَيْرَ الْوَصَايَا وَأَعْظَمَهَا، وَأَجِلَّهَا وَأَرْفَعَهَا: الْوَصِيَّةُ بِتَقْوَىٰ اللهِ ﷻ؛ فَهِيَ وَصِيَّةُ اللهِ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: وَلَقَدْ أَوْصَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْإِحْسَانِ إِلَىٰ أَهْلِ مِصْرَ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّىٰ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَىٰ أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا»، أَوْ قَالَ: «ذِمَّةً وَصِهْرًا».

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ وَصَفَ اللهُ ﷻ سَيْنَاءَ بِعِدَّةِ أَوْصَافٍ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ **فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ** مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، كَمَا وَصَفَهَا اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِأَنَّهَا مَكَانٌ مُقَدَّسٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًىٰ﴾، قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًىٰ﴾ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَبُّهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَعِدَّ وَيَتَهَيَّأَ لِمُنَاجَاتِهِ، وَيَهْتَمَّ لِذَلِكَ، وَيُلْقِيَ نَعْلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ الْمُطَهَّرِ الْمُعَظَّمِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ تَقْدِيسِهِ إِلَّا أَنَّ اللهَ ﷻ اخْتَارَهُ لِمُنَاجَاتِهِ كَلِيمَهُ مُوسَىٰ لَكَفَىٰ.

وَمِنْ فَضَائِلِ سَيْنَاءَ أَنَّ اللهَ ﷻ أَقْسَمَ بِجَبَلِ الطُّورِ فِيهَا، هَذَا الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِ نَبِيَّهُ مُوسَىٰ عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ﴾، كَمَا أَشَارَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَىٰ شَجَرَةِ الزَّيْتُونِ الَّتِي تَنْبُتُ فِي سَيْنَاءَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ أَرْضَ سَيْنَاءَ مَوْطِئُ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام، فَقَدْ كَلَّمَ اللهُ ﷻ مُوسَى عليه السلام مِنْ فَوْقِ

جَبَلِهَا، وَأَمَرَهُ بِأَنْ يَمْكُثَ فِي أَرْضِهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. فَسَيْنَاءُ هِيَ الْأَرْضُ الْوَحِيدَةُ فِي الْكَوْنِ الَّتِي تَجَلَّىٰ فِيهَا اللهُ ﷻ لِنَبِيِّهِ مُوسَىٰ عليه السلام الَّذِي خَرَّ صَعِقًا، وَقَدْ كَانَتْ مُنَادَاةُ سَيْنَاءَ مُوسَىٰ فِيهَا بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ لِسَيْنَاءَ أَهَمِّيَّةً كُبْرَىٰ عَبْرَ التَّارِيخِ، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ أَحَدٍ مَوْقِعُهَا الْجُغْرَافِيُّ الَّذِي تَتَفَرَّدُ بِهِ؛ حَيْثُ تَقَعُ عِنْدَ مُلْتَقَىٰ بَحْرَيْنِ وَقَارَّتَيْنِ، الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ وَالْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ، كَمَا تَقَعُ عِنْدَ مُلْتَقَىٰ قَارَّتَيْ آسْيَا وَأَفْرِيقْيَا، إِنَّهَا الْبَوَّابَةُ الشَّرْقِيَّةُ وَالْأَهَمُّ وَالْأَخْطَرُ عَلَىٰ حُدُودِ مِصْرَ كُلِّهَا تَارِيخِيًّا وَمُسْتَقْبَلًا؛ وَلِذَلِكَ كَانَتْ سَيْنَاءُ عَبْرَ التَّارِيخِ مَطْمَعًا وَمَحَطَّ أَنْظَارٍ لِلْأَعْدَاءِ، وَلَقَدْ ضَحَّىٰ أَبْنَاءُ وَطَنِنَا الْعَزِيزِ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُونَ لِلْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ سَيْنَاءَ الْحَبِيبَةِ، وَكَمِ امْتَزَجَ تُرَابُهَا بِدِمَاءِ جُنُودِنَا الْأَبْطَالِ فِي حَرْبِ أُكْتُوبَرَ الْمَجِيدَةِ، حَتَّىٰ رُوِيَتْ سَيْنَاءُ مِنْ دِمَائِهِمْ.

إِنَّ حِمَايَةَ وَتَأْمِينَ سَيْنَاءَ تَأْمِينُ وَحِمَايَةُ حَاضِرِ مِصْرَ وَمُسْتَقْبَلِهَا بِإِذْنِ اللهِ، فَمَا أَحْوَجَنَا فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الْحَرِجَةِ مِنْ تَارِيخِ أُمَّتِنَا - حَيْثُ الْخَطَرُ يُحِيطُ بِبِلَادِنَا مِنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ -؛ مِمَّا يَتَطَلَّبُ مِنَّا أَنْ نَقِفَ صَفًّا وَاحِدًا أَمَامَ الْأَعْدَاءِ الْمُتَرَبِّصِينَ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ لِلنَّصْرِ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ أَسْبَابًا يَجِبُ عَلَيْنَا الْأَخْذُ بِهَا إِذَا مَا أَحْبَبْنَا أَنْ يَنْصُرَنَا اللهُ ﷻ، وَمِنْهَا:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِاللهِ. قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.

الثَّانِي: الثَّبَاتُ فِي الْقِتَالِ، وَذِكْرُ اللهِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا

وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

الثَّالِثُ: الِاجْتِمَاعُ عَلَىٰ الْحَقِّ، وَعَدَمُ التَّنَازُعِ، مَعَ الصَّبْرِ. قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

الرَّابِعُ: نُصْرَةُ دِينِ اللهِ، وَذَلِكَ بِاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾.

الْخَامِسُ: الْإِلْحَاحُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الدُّعَاءِ. قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾. وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَيَسْتَغِيثُ بِهِ فِي مَعَارِكِهِ؛ فَيَنْصُرُهُ وَيَمُدُّهُ بِجُنُودِهِ، كَمَا فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ. وَفِي يَوْمِ الْأَحْزَابِ دَعَا عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْأَحْزَابِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ». وَهَذَا دَأْبُهُ ﷺ فِي غَزَوَاتِهِ، أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا غَزَا قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ».

وَأُنَبِّهُ أَيُّهَا الْأُخْوَةُ: أَنَّهُ لَابُدَّ فِي الْجِهَادِ مِنْ إِذْنِ وَلِيِّ الْأَمْرِ، قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمُغْنِي»: وَلَا يَخْرُجُوا إِلَىٰ الْعَدُوِّ إِلَّا بِإِذْنِ الْأَمِيرِ، إِلَّا أَنْ يَفْجَأَهُمْ عَدُوٌّ غَالِبٌ يَخَافُونَ كَلَبَهُ - أَيْ: شَرَّهُ وَأَذَاهُ -، فَلَا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَسْتَأْذِنُوهُ ... وَمَعْنَاهُ أَنَّ النَّفِيرَ يَعُمُّ جَمِيعَ النَّاسِ مِمَّنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْقِتَالِ، حِينَ الْحَاجَةِ إِلَىٰ نَفِيرِهِمْ؛ لِمَجِيءِ الْعَدُوِّ إِلَيْهِمْ. اهـ

عِبَادَ اللهِ: عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَعَرَّفُوا عَلَىٰ حَالِ عَدُوِّكُمْ مِنَ الْيَهُودِ. قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «هِدَايَةِ الْحَيَارَىٰ»: وَلَمَّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ كَانَ أَهْلُ الْأَرْضِ صِنْفَيْنِ: أَهْلَ الْكِتَابِ، وَزَنَادِقَةً

لَا كِتَابَ لَهُمْ، وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَفْضَلَ الصِّنْفَيْنِ، وَهُمْ نَوْعَانِ: مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَضَالُّونَ.

فَالْأُمَّةُ الْغَضَبِيَّةُ هُمُ الْيَهُودُ: أَهْلُ الْكَذِبِ وَالْبَهْتِ وَالْغَدْرِ وَالْمَكْرِ وَالْحِيَلِ، قَتَلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَكَلَةُ السُّحْتِ وَالرِّبَا وَالرِّشَا، أَخْبَثُ الْأُمَمِ طَوِيَّةً، وَأَرْدَاهُمْ سَجِيَّةً، وَأَبْعَدُهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنَ النِّقْمَةِ، عَادَتُهُمُ الْبَغْضَاءُ، وَدِينُهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالشَّحْنَاءُ، بَيْتُ السِّحْرِ وَالْكَذِبِ وَالْحِيَلِ، لَا يَرَوْنَ لِمَنْ خَالَفَهُمْ فِي كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ وَلَوْ نَبِيًّا حُرْمَةً، وَلَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً، وَلَا لِمَنْ وَافَقَهُمْ عِنْدَهُمْ حَقٌّ وَلَا شَفَقَةٌ، وَلَا لِمَنْ شَارَكَهُمْ عِنْدَهُمْ عَدْلٌ وَلَا نَصَفَةٌ، وَلَا لِمَنْ خَالَطَهُمْ طُمَأْنِينَةٌ وَلَا أَمْنَةٌ، وَلَا لِمَنِ اسْتَعْمَلَهُمْ عِنْدَهُ نَصِيحَةٌ، بَلْ أَخْبَثُهُمْ أَعْقَلُهُمْ وَأَصْدَقُهُمْ أَغَشُّهُمْ، وَسَلِيمُ النَّاحِيَةِ -وَحَاشَا أَنْ يُوجَدَ فِيهِمْ وَبَيْنَهُمْ- لَيْسَ بِيَهُودِيٍّ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ، أَضْيَقُ الْخَلْقِ صُدُورًا، وَأَظْلَمُهُمْ بُيُوتًا، وَأَنْتَنُهُمْ أَفْنِيَةً، وَأَوْحَشُهُمْ سِحْنَةً، تَحِيَّتُهُمْ لَعْنَةٌ، وَلِقَاؤُهُمْ طِيَرَةٌ، شِعَارُهُمُ الْغَضَبُ، وَدِثَارُهُمُ الْمَقْتُ.

وَاحْذَرُوا الرَّافِضَةَ وَمَنْ تَوَلَّاهُمْ عِبَادَ اللهِ، فَإِنَّهُمْ مَهْمَا أَظْهَرُوا نُصْرَةَ الدِّينِ فَهُمْ أَعْدَاؤُهُ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ، فَهُمْ يُكَفِّرُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَأَنَّىٰ يَأْتِي نَصْرُ الْإِسْلَامِ مِنْ قِبَلِهِمْ، وَهُمْ أَعْدَاؤُهُ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ؟!، وَأَمَّا خِيَانَةُ الرَّافِضَةِ الْعُظْمَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ، وَبَلِيَّتُهُم الْكُبْرَىٰ عَلَيْهِمْ: فَقَدْ حَصَلَتْ بِقِيَادَةِ نُصَيْرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ وَابنِ الْعَلْقَمِيِّ الرَّافِضِيَّيْنِ، حَيْثُ تَعَاوَنَا مَعَ التَّتَارِ، وَأَدْخَلُوهُمْ بِلَادَ الْإِسْلَامِ، فَقُتِلَ بِسَبَبِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ مِلْيُونَيْ مُسْلِمٍ فِي بَغْدَادَ وَحْدَهَا، وَسَقَطَتِ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ السُّنِّيَّةُ، وَخَرَجَتِ الْفِرْقَةُ النُّصَيْرِيَّةُ الْخَبِيثَةُ، وَالَّتِي مَا زَالَ إِخْوَانُنَا فِي سُورِيَّةَ يَذُوقُونَ الْأَمَرَّيْنِ مِنْهَا إِلَىٰ الْيَوْمِ.

وَفِي الْقَرْنِ الْعَاشِرِ قَامَتِ الدَّوْلَةُ الصَّفَوِيَّةُ الرَّافِضِيَّةُ فِي إِيرَانَ عَلَىٰ يَدِ الشَّاهِ إِسْمَاعِيلَ الصَّفَوِيِّ الرَّافِضِيِّ، الَّذِي قَتَلَ مَا يَقْرُبُ مِنْ مِلْيُونَ مُسْلِمٍ، لَا لِشَيْءٍ إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَعْتَنِقُونَ مَذْهَبَ الرِّفْضِ، وَلَمَّا قَدِمَ بَغْدَادَ أَعْلَنَ سَبَّهُ لِلْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَنَبَشَ قُبُورَ كَثِيرٍ مِنْ أَمْوَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَمِنْهَا قَبْرُ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ.